-٩-

التجارة وأثرها في نشر الإسلام

المدرس المساعد

عمار مرضي علاوي الجميلي

الجامعة الإسلامية - بغداد

كلية الآداب قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

من المعلوم أن للتجارة أثراً كبيراً ومساهمة فّعالة في عملية نشر الإسلام في أنحاء واسعة من العالم . وبنظرة متواضعة على التعريف العام للتجارة التي هي ((محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء))[1] نجد أن التجارة لا يمكن أن تنحصر بتعريف واحد، فهي أوسع من أن تعدد . إذ هي عملية تبادلية ربحية وأخلاقية توجب الصدق والإخلاص والأمانة .

ونحاول في هذه الدراسة أن نعرض الوسائل والطرق التي استخدمها التجار في نشرهم للإسلام، وكذلك معرفة المناطق التي وصل الإسلام إليها عن طريق التجار .

الوسائل والطرق المتبعة

لقد كان للتجار أثر في التعرف على البلدان وأحوالها، وإقامة العلاقات الطيبة مع الأهالي.

ويعد بعض التجار من أوائل حملة الدعوة الإسلامية، حيث إنهم حملوا مع تجارتهم دينهم

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) : مقدمة ابن خلدون، دار الفكر (بيروت : د.ت)، ص ٣٩٤.

وأخلاقهم إضافة إلى الصدق الذي تميزوا به في بيعهم وشرائهم . كل هذه الصفات جعلت التجار المسلمين محط أنظار المتعطشين إلى اعتناق الإسلام، فالتاجر المسلم لم يكن همه اقتناء الربح من تجارته بقدر ما كان يبذل من جهد في نقل عقيدته وإيصالها إلى جميع من يقدر أن يتعرف عليهم في رحلته خلال الأقاليم التي يمر بها[١] وكان لاشتغال المسلمين بالتجارة الأثر الكبير في نشر الإسلام وعملية قبول التجارة واحترام مهنتها بين المجتمع .

وإذا أردنا أن نتكلم عن المشتغلين بالتجارة، فلابد من ذكر النبي محمد ﷺ الذي كان يتاجر بمال السيدة خديجة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى انها اعجبت به وبأخلاقه وأمانته في حفظ مالها وما تم نقله عن طريق غلامها ((ميسرة)) من أمانته، فكان يتاجر بمالها إلى الشام ومرّ بالمدينة المنورة وجعلها مركزاً لدعوته من بعد وبالبلاد التي فتحها ونشر فيها دينه .[٢]

كما أن رحلته للتجارة كانت سبباً لزواجه من السيدة خديجة بعدما رأت وسمعت من سماحته وصدقه وكريم أخلاقه .[٣]

ورُبّ سائل يسأل هل كان النبي ﷺ تاجراً ؟ إنّ الإسلام لا يحرّم العمل بالتجارة بل انه يشجعها ويحث عليها ويعدها وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى . فعمل النبي ﷺ بالتجارة يعد حجة على كل التجار بأن يجعلوا عملهم فيها مبنياً على الصدق والأمانة، فعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : ((التاجر الأمين الصدوق المسلم مع

(١) السامر، فيصل : الاصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، دار الطليعة للطباعة والنشر (بغداد : ١٩٧٧م)، ص٢٨ .

(٢) الصلابي، علي محمد : السيرة النبوية، دار المعرفة، ط٤ (بيروت : ٢٠٠٦م)، ص ٦٢ .

(٣) ابن هشام، محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣ م) : السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا واخرين، مطبعة البابي الحلبي (القاهرة : ١٩٥٥م)، ج١، ص ١٩٩ ؛ ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) : المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب (بيروت : ١٩٦٥م)، ص ١٥ .

الشهداء يوم القيامة))[١]فيدل اشتغاله ﷺ بالتجارة على اهتمام الإسلام بهذا اللون من ألوان النشاط الاقتصادي الذي يشجع على الرزق الحلال [٢] وكذلك فإن الخلفاء الراشدين الثلاثة كانوا يشتغلون بالتجارة، فأبو بكر الصديق رَحِمَهَاٱللَّهُ كان يتاجر بالبز[٣] واليه يرجع الفضل بعد الله تعالى في إسلام كلٍّ من عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله (رضوان الله عليهم)[٤] وأيضاً عمر بن الخطاب رَحِمَهَاٱللَّهُ كان يشتغل بالتجارة،[٥] وعثمان بن عفان رَحِمَهَاٱللَّهُ اشتغل بتجارة البز[٦] وللصحابي التاجر عبد الرحمن بن عوف رَحِمَهَاٱللَّهُ الذي كان يتاجر بالبز،[٧] أثر كبير في إسلام بني كلب، حيث أرسله النبي ﷺ إليهم وقال له : إن استجابوا لك واسلموا فتزوج من ابنة ملكهم ((الاصبغ بن ثعلبة بن ضمضم الكلبي))، وهذا الملك يدين بالنصرانية، فبقي عبد الرحمن عندهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام حتى اسلم ملكهم واسلم معه أناس كثيرون وتزوج ابنة ملكهم[٨].

---

(١) ابو عبدالله القزويني، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) : سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر(بيروت : د . ت)، ج ٦، ص ٣٥٦ .

(٢) الناطور، شحاذه وآخرون : النظم الإسلامية والتشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية، دار الكندي (عمان : ١٩٨٨م)، ص١٨٩ .

(٣) الخلال، ابو بكر احمد بن محمد بن هارون (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م) : الحث على التجارة والصناعة والعمل، نشر مكتبة القدسي والبدين، مطبعة الترقي (دمشق : ١٣٤٨هـ)، ص ١٦ .

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٢٦٩ .

(٥) الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) : البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، ط٢ (القاهرة : ١٩٧٦م)، ص١٥٧ .

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٧٥ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٧٥ .

(٨) ابن سعد، محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/ ٤٤٨م) : الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت : ١٩٨٦م)، ص٢٨٩ .

ويدل اشتغال كبار الصحابة بالتجارة على أهميتها في المجتمع الإسلامي، إذ إنها عملية دينية دنيوية ، تدر بالأرباح في الدنيا والآخرة . ولم يكن غرض الصحابة من التجارة كسب المال بقدر ما كانوا يرومون إليه من إفهام الناس كيفية الاشتغال بها وجعلها وسيلة من وسائل الدعوة . فالزبير بن العوام رَحِمَهَاٱللَّهُ وصف بأنه كان ((كثير التجارات))[١].

وطلحة بن عبيد الله رَحِمَهَاٱللَّهُ كان يشتغل بتجارة البز[٢] وعمرو بن العاص رَحِمَهَاٱللَّهُ كان يشتغل بالتجارة، وأرسله النبي ﷺ إلى عُمان التي كان يحكمها الأخوان عبيد وجيفر ابنا الجلندي، فقام بدعوتهما إلى الإسلام وبعد مناقشات حول دخولهما فيه استجابا إليه ورغبا فيه واسلم معهما أهل عُمان .[٣]

هذه نماذج من حياة الصحابة الأفذاذ الذين قدموا صورة ناصعة البياض في مدى الصدق والأمانة لقضية التجارة فكانت بمثابة الدليل الواضح لمن يأتي بعدهم من التجار. وكان التجار يعرفون معظم الطرق ومسالك المدن التي يقصدونها، وكانت هذه الطرق برية وبحرية . فمثلاً كانت سفن التجار التي تنطلق من البصرة تدخل إلى ميناء خانقو في الصين .[٤]

(١) الجاحظ، البخلاء، ص٣٩٦ .

(٢) الاصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، اعتناء محمد أمين الخانجي، ط٢ دار الكتاب العربي (بيروت : ١٩٦٧م)، ج١ ص٨٧ .

(٣) البلاذري، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) : فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات (القاهرة : ١٩٠١م)، ص٨٣ .

(٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت : ١٩٨٧م) ج٤، ص١٣٨ .

والأمر نفسه فيما يتعلق بالطرق البرية المؤدية إلى الحبشة وشرقي افريقية .[١] حتى أنهم سلكوا الطريق المؤدي إلى سقالة في أقصى جنوب شرقي افريقية .[٢] وخلال رحلة التجار المسلمين التي يقصدونها كان لابد لهم من تعلم لغة البلد الذي يمكثون فيه، لانه من غير المعقول أن يبقى هؤلاء التجار مدة طويلة بدون تعلم اللغة ومن البديهي ينقل هؤلاء التجار اللغة العربية وتعليمها لأهل ذلك البلد .

لذلك نجد أن التجار المسلمين في الصين ومناطق آسيا قد تعلموا لغة البلد .[٣] وكذلك الحال نفسه في افريقية حيث تعلم هؤلاء التجار لغة الأفارقة .[٤] وهذه الحالة أدت بالتالي إلى عملية التأثر والتأثير وخلال مدة الإقامة الطويلة استطاع التجار إقامة علاقات طيبة مع الأهالي وحكام البلاد مما ساعدهم على نشر الإسلام .[٥]

وتواجه التجار المستقرين في تلك البلاد مسألة أخرى وهي أن مدة الإقامة الطويلة تحتاج إلى من يقوم بخدمتهم هذه القضية استطاع التجار التكيف معها، فهم كانوا بين فريقين، الأول يقوم باصطحاب الزوجات معه للمكوث في تلك البلاد، والثاني نظراً لطول المدة يقوم بالتزوج من نساء تلك البلاد، وعلى هذا الأساس قام بعض التجار

(١) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت بعد ٢٩٢هـ / ٩٠٤م): تاريخ اليعقوبي، منشورات المكتبة المرتضويه، مطبعة الغري (النجف : ١٣٥٨هـ)، ج١، ص٢١٨ .

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٦ .

(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٣٨ .

(٤) المصدر نفسه، ٢ / ١٨ .

(٥) أرنولد، توماس : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين، ط٢ (القاهرة : ١٩٥٧م)، ص ٣٩١ .

المسلمين بالتزوج من نساء مدينة سجلماسة [١]، وأنجبوا منهن الأولاد بعد أن اسلمن[٢] . وعملية الزواج هذه كان لها الأثر الكبير في إسلام سكان البلاد، فبمجرد إقامة علاقة طيبة مع زعماء البلاد والزواج من نسائهم نجد أن الكثير من سكانها قد اسلموا لما رأوا من صدق التجار وإيمانهم.[٣] هذا الأمر ساعد التجار المسلمين في عملية التكيف داخل المجتمعات حتى أنهم قاموا بتأسيس مجمعات سكنية خاصة بهم .[٤]

ولعل ابرز عمل زاد من إعجاب الناس فيما يخص التجار المسلمين هو التزامهم الديني الذي أثار انتباه هؤلاء الوثنيين الذين كانوا يشاهدونهم في الطرق والأسواق ((فقد كان(التاجر) رجلاً صالحاً يقرأ القرآن ويؤدي فروضه الدينية متواضعاً ومحباً للآخرين)).[٥]

وفي معرض حديثنا عن وسائل التجار في نشرهم للإسلام، لابد أن نورد حادثتين في إسلام حكام بعض البلاد على أيدي التجار المسلمين .

الأولى : أن ملك سفالة[٦] عندما شاهد خلق التجار المسلمين وصدقهم وامانتهم، قام

(١) سجلماسة : مدينة تقع في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام، يمر بها نهر كبير وتشتهر بكثرة التمور فيها، ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) : معجم البلدان، دار صادر (بيروت : ١٩٧٧م)، ج٢، ص٤٣٣ .

(٢) ابن حوقل، محمد بن علي (ت ٣٧٦هـ/ ٩٧٧م) : صورة الارض، ط٢ مطبعة فؤاد بيبان وشركاؤه (بيروت : د.ت)، ص٦٥ .

(٣) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٩٢ .

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٣ / ٢١٨ .

(٥) Brady . C . T : Commerce And Congnest in East Africa . The Essex institute (50 9 1) . 23

(٦) سفالة : وهي آخر مدينة تعرف بأرض الزنج، يجلب إليها الامتعة ويتركها التجار ومن ثم يعودون اليها، تشتهر بالذهب المعروف بالسفالي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢ / ٤٥٧ .

بنشر الإسلام بين رعيته وفتح بلاده للتجار المسلمين قائلاً لهم ((انتم سبب في إصلاح ديني وأنا اليوم مسرور لما مَنَّ الله عليّ به وعلى أهل دولتي من الإسلام، فَعرفوا المسلمين أن يأتونا فانا قد صرنا إخواناً لهم، مسلمين مثلهم)).[١]

هذا النص يعطي تصوراً واضحاً عن مدى تقبل حكام تلك البلاد لمبادئ الإسلام العظيمة التي حملها دعاته بكل سماحة ويسر .

والحادثة الثانية أن ملك العسيفان قام بإعلان إسلامه على يد التجار المسلمين بعدما رأى أن الأصنام لا تنفع في شفاء ابنه المريض، وأعلن براءته من تلك الأصنام، وهذه القصة يرويها البلاذري[٢] قائلًا ((إنّ بلداً يدعى العسيفان بين قشمير والملتان وكابل، كان له ملك عاقل وكان اهل ذلك البلد يعبدون صنماً، فمرض ابن الملك فدعا سدنة ذلك البيت فقال لهم ادعوا الصنم ان يبري ابني فغابوا عنه ساعة ثم أتوه فقالوا قد دعوناه وقد أجابنا إلى ما سألناه، فلم يلبث الغلام أن مات، فوثب الملك على البيت فهدمه وعلى الصنم فكسره وعلى السدنة فقتلهم . ثم دعا قوماً من تجار المسلمين فعرضوا عليه التوحيد فَوحّد واسلم وكان ذلك في خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله)) . هذه القصة تنطوي على مغزى مهم ألا وهو أن التجار المسلمين استطاعوا بوسائلهم المقنعة والتعليم المستمر أن يجذبوا الهنود وغيرهم إلى دائرة الإسلام .

(١) ابن شهريار، برزك (ت في نهاية القرن الرابع الهجري) : كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزائره (القاهرة : ١٩٠٨م)، ص٥٩ .

(٢) فتوح البلدان، ص ٤٥١ .

المناطق التي وصل الإسلام إليها عن طريق التجار

لم يدع التجار المسلمون مكاناً يجدون فيه نشاطاً تجارياً إلا ساروا إليه، متجاوزين كل الصعاب المترتبة على الرحلة .

ففي الصين كانت العلاقات التجارية متصلة فيما بين التجار العرب المسلمين وبين الصينيين.

ومن الملاحظ أن هؤلاء التجار الذين تعاملوا مع الصينيين كانوا يمتازون بثقافتهم العلمية الأمر الذي سهّل عملية نشر الدين الإسلامي، إضافة إلى عملهم في التجارة فحملوا الإسلام ومظاهر الحضارة الى مختلف مدن الصين التي تعرّفت على الإسلام منذ القرن الأول الهجري ولعل أهم مدينة صينية عرفت الإسلام هي مدينة (خانقو)[١] ولعل ابلغ دليل على توطيد العلاقات فيما بين التجار المسلمين وأهالي الصين، وجود جالية إسلامية في مدينة خانقو ولها احترام وتقدير حكام الصين الأمر الذي دفعه لمنحهم الاستقلال الديني، حيث ذكر ذلك احد الرحالة بقوله ((إن بخانقو الذي هو مجتمع التجار، رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية بتوخي ملك الصين ذلك، وإذا كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين، وان التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئاً في أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الإسلام)) .[٢] حتى إن التجار الصينيين المسلمين كانوا يرحبون

(١) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٣١ .

(٢) سليمان التاجر (القرن الثالث الهجري) : سلسلة التواريخ، المطبعة السلطانية (باريس : ١٨١١م)،

بالتجار المسلمين الذين يأتون إليهم من بلدان مختلفة، ويعاملونهم مثلما يعاملون تجار بلدهم[١] وكذلك فإن التجار المسلمين قاموا بالزواج من النساء الصينيات مع ما لهذا الزواج من أهمية كبيرة في إسلامهن ومن ثم إسلام المجتمع الصيني .[٢]

وفيما يتعلق بالعلاقات مع الهند فكانت أيضاً قوية من جراء الاستقرار الذي منح للتجار المسلمين حرية التنقل في مدن الهند والاختلاط بالأهالي، مما أسهم في نشر العقيدة الإسلامية في الهند.[٣]

وكان لمزاولة التجار المسلمين تجارة التوابل والعاج والأحجار الكريمة، الأثر الكبير في امتداد الإسلام على طول الساحل الغربي من الهند الجنوبية، وأصبح تنوع من السكان نتيجة التزاوج.[٤] والى التجار المسلمين يعود الفضل في نشر الإسلام في ربوع جزائر كلديف وملديف، إذ أنهم قاموا باستيطانها والمصاهرة مع أهلها[٥] .

وفي جزر الهند الشرقية قام التجار المسلمون ايضاً بمزاولة التجارة معها، وقد أدت هذه العملية إلى إقامة علاقات قوية مع الحكام والأمراء المحليين، الأمر الذي ساعد وسهل في انتشار الإسلام بين سكان تلك المناطق[٦] وفي مناطق جنوب شرق آسيا تمكن التجار المسلمون من الوصول إليها والمتاجرة مع أهلها، حيث أن الإسلام انتشر بين أهالي جاوه

ص١٤ .

(١) ابن بطوطة، شرف الدين أبو عبد الله بن محمد إبراهيم الطنجي (ت ٧٩٩هـ / ١٣٧١م) : رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار (القاهرة : ١٩٢٨م)، ج١، ص١٥٥ .

(٢) محمود، شاكر : تركستان الصينية الشرقية (بيروت : ١٩٧٦م)، ٥٦ .

(٣) السامر، الأصول التاريخية، ص٤٤ .

(٤) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٢٩٧ .

(٥) المرجع نفسه، ص٣٠٣ .

(٦) السامر، الأصول التاريخية، ص ٤٨ .

في القرن السادس الهجري على يد ابن ملك جاوه الذي كان تاجراً يتاجر مع الهند فاعتنق الإسلام ثم عاد الى مدينته ونشر الإسلام فيهم .[١]

وكذلك يعود الفضل إلى التجار المسلمين في حمل لواء الإسلام إلى اندنوسيا من وقت مبكر، وتحديداً في بدايات القرن الأول الهجري فقد كان العرب الحضارمة قد سافروا إلى اندونوسيا خلال هذه الفترة للتجارة مع أهلها، وقد أسفرت هذه العلاقة التجارية عن إقبال الأهالي على الدين الإسلامي الذي حمله التجار بكل أمانة، فأصبح هؤلاء التجار دعاة لنشر الإسلام في اندونيسيا .[٢]

وأما بالنسبة لانتشار الإسلام في قارة أفريقيا، فكان للتجار المسلمين أيضاً اثر بارز في نشره بين الأهالي . ففي أفريقيا الشرقية انتشر الإسلام في القرن الأول الهجري على يد التجار المسلمين الذين قيل عنهم انهم جاءوا من اجل البحث عن الرزق أو الاضطهاد السياسي.[٣] . حيث أن هؤلاء التجار أصبحوا سادة الحركة التجارية في المحيط الهندي وموانئه، وسيطروا على الطرق البرية الرئيسة التي تربط الداخل بالساحل .[٤]

وكان لكثافة النشاط التجاري للمسلمين على طول الساحل الإفريقي الشرقي الأثر الفاعل في عملية نشر الإسلام، وهذا أدى بدوره إلى تأسيس دول إسلامية في المنطقة لان التاجر المسلم قد جمع بين تجارته ونشره للإسلام وهذا ما جعل المستشرق ارنولد[٥] يصفه

(١) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٤١٦ .

(٢) البكري، صلاح الدين : تاريخ حضرموت السياسي (القاهرة : ١٩٣٥م)، ج٢، ص٢٤٠ .

(٣) الشيخلي، صباح إبراهيم، والالوسي، عادل محي الدين : تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرقي اسيا (بغداد : ١٩٨٧م)، ص١٧ .

(٤) متز، ادم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة : ١٩٥٧م)، ج٢، ص ٢٧٢ .

(٥) الدعوة إلى الإسلام، ص٢٩١ .

قائلاً ((إنّ التاجر إذا ما حلّ في مدينة فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه وانتظام أوقات الصلاة والعبادة، وبما يتجلى به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة به على الأهالي الوثنيين وهكذا انتشر الإسلام بين سكان أفريقيا الشرقية)) .

وكانت عملية نشر الإسلام في الساحل الشرقي تدريجية وبخطوات مدروسة ودقيقة، حيث استطاع هؤلاء التجار الاختلاط بسكان المنطقة واكتسبوا ودهم ونجحوا في الزواج من نسائهم، فأثروا بهم ونقلوهم إلى الإسلام، فتحولت المراكز التجارية المنتشرة على طول الساحل الإفريقي الشرقي إلى الإسلام ومنها بدأ بالانتشار بصورة دائمة نحو المناطق الداخلية شرق أفريقيا[١]. وفيما يخص الهجرات العربية إلى الحبشة، فقد ذكر أن هناك هجرات عربية شملت أعداداً كبيرة من التجار الذين استقروا على الشاطي الغربي للبحر الأحمر في منطقة الحبشة، وبمرور الوقت تزايدت أعداد التجار واستطاعوا أن يكونوا مراكز تجارية مهمة في مناطق متفرقة من الشاطئ، وهذه المراكز بدورها ساعدت التجار على الاختلاط بالأهالي والتأثير فيهم [٢] على أن انتشار الإسلام فيها بدأ منذ إرسال النبي ﷺ أصحابه إلى ملك الحبشة ((النجاشي)) وبطبيعة الحال كان هناك عدد من الصحابة مارسوا التجارة في الحبشة خلال مدة الإقامة فاستطاعوا أن ينشروا الإسلام فيها وكان ((النجاشي)) أول الذين اسلموا على يد جعفر بن ابي طالب رَحِمَهَاٱللَّهُ [٣] ثم تدفق الإسلام إليها تباعاً مع مجيء التجار المسلمين ببضاعتهم كالذهب والعاج والتوابل حتى قيل ((لم تزل العرب تأتي إليها للتجارات))[٤].

(١) الدجيلي، خولة شاكر : العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الأفريقي الشرقي حتى القرن التاسع الهجري، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد (١٩٧٥م)، ص١٤٧ .

(٢) غيث، فتحي : الاسلام والحبشة عبر التاريخ (القاهرة : ١٩٦٨م)، ص٤٣٣

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/ ٣٣٧

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٣ / ٢١٨ .

وأما انتشار الإسلام في السودان الغربي، فيعود الفضل أيضاً إلى التجار المسلمين الذين سعوا من خلال التجارة مع هذه البلدان الى توثيق العلاقات وأسهموا في حركة انتشار الإسلام في الصحراء ومناطق السودان وجنوبها[١] فمدينة تمبكتو منذ القرن السادس الهجري أصبحت مركزاً إسلاميا مهماً بفضل استقرار التجار المسلمين هناك[٢].

وكان للذهب أهمية كبيرة عند التجار المسلمين الذين تدفقوا بكثافة إلى مناطق وجوده في أفريقيا، حتى إن الوالي عبيد الله [٣] بن الحبحاب قد أمر بحفر الآبار في الطريق التجاري الذي يمر بالسوس إلى اودغست وذلك لتسهيل عملية سير القوافل التجارية عبره .[٤]

إن هذه الأعداد الكبيرة من التجار المسلمين كانوا مستقرين في السودان الغربي، وكانوا يتحركون بحرية تامة الأمر الذي أدى إلى نقل المؤثرات العربية الإسلامية إلى تلك المناطق وإسلام الحكام والسكان في السودان الغربي .

ففي مدينة غانا أسس التجار المسلمون حياً خاصاً بهم أطلق عليه اسم (حي التجار) إذ كان يحتوي هذا الحي على اثني عشر مسجداً [٥] هذه العلاقات التجارية دليل قاطع على أن التجارة كانت ولا تزال رافداً مهماً من روافد الدعوة إلى الله تعالى .

---

(١) الشيخلي، والالوسي، تاريخ الإسلام، ص٦١ .

(٢) الحويري، محمود (دكتور) : أسوان في العصور الوسطى، ط٢ (مصر : ٢٠٠٢م)، ص٢٠٣.

(٣) عبيد الله بن الحبحاب : وهو والي مصر، استعمله الخليفة الأموي هشام على افريقية سنة (١١٦هـ) وجهز جيشاً إلى ارض السودان وقام أيضاً بغزو البحر، ينظر ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) : الكامل في التاريخ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي ط٤ (بيروت : ٢٠٠٤م)، ج٤، ص٢١٠ .

(٤) البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى (بغداد : ١٨٥٧)، ص١٥٦ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٥ .

الخاتمة

بعد أن عرضنا موضوع التجارة وأثرها في نشر الإسلام، نرى انه من الضروري تسجيل ما تم التوصل إليه من نتائج:

١- كانت التجارة ولا تزال رافداً من روافد الدعوة إلى الله تعالى، إذا أخلصت هذه العملية لوجه الله تعالى .

٢- سماحة الإسلام وعالميته في عدم المشقة على المسلمين من مزاولة التجارة، ففي هذه المزاولة استطاع التجار المسلمون من الانتشار الواسع في أرجاء المعمورة .

٣- إن اشتغال النبي محمد ﷺ في التجارة هو دليل قاطع على أهمية العمل ومكانته في الإسلام، إذ هو إشارة للمسلمين كافة بضرورة إيجاد نوع من العمل وعدم الاتكال .

٤- نتيجة ترحال التجار المسلمين إلى بلاد واسعة، أن تعلموا لغات تلك البلاد مما أسهم في سهولة الاندماج معهم والتأثير فيهم .

٥- كانت هناك صفتان ملازمتان للتجار المسلمين هما الصدق والأمانة، فبفضل هاتين الصفتين استطاع التجار من دخول البلاد وتحويل سكانها من حال إلى حال . فالصدق كان شعاراً في بيعهم وشرائهم، فلم نسمع أن أحداً من التجار غش الناس في بضائعهم . كذلك كانت الأمانة هي رأس مالهم في رحلتهم الشاقة وملكوا قلوب الناس بها .

٦- من خلال تصفح رحلات التجار المسلمين إلى أنحاء واسعة نجد أنهم قد تحملوا المشاق والصعاب في سبيل الوصول بدعوتهم إلى بلاد لم يصلها الإسلام بعد، فأي جهد هذا يتحمله الإنسان إلا من اجل غاية سامية ألا وهي نشر الإسلام .

٧- بينت الدراسة كذب وافتراء البعض من أن التجار كانت غايتهم المال وليس

نشر الإسلام، فمن المعلوم إن التجارة بطبيعتها هي مربحة بغض النظر عن الترحال والتجوال فضلاً عن القيام بترك الزوجة والأولاد مدة طويلة مع ما فيها من المصاعب والمتاعب، وهذا الأمر لا يقوم به إلا أصحاب الدعوات الصادقة .

٨- إن ابلغ دليل على اثر التجارة الصادقة في نشر الإسلام هو إسلام ملوك وحكام تلك المدن الوثنية التي كانت يوماً ما تحارب الإسلام ودعاته، لكنها اليوم بفضل هؤلاء التجار تقبلوا الإسلام ومبادئه جراء ما شاهدوه من وقائع وحقائق على ارض الواقع من صدق وأمانة وسماحة الإسلام.

❑ ❑ ❑

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر الأولية :

ـــ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

١- الكامل في التاريخ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي، ط٤ (بيروت : ٢٠٠٤م)

ـــ الاصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) :

٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، اعتناء محمد أمين الخانجي،ط٢، دار الكتاب العربي (بيروت : ١٩٦٧م).

ـــ ابن بطوطة، شرف الدين أبو عبد الله بن محمد إبراهيم الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧١م :

٣- رحلة ابن بطوطة، المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار (القاهرة : ١٩٢٨م) .

ـــ البكري عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) :

٤- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى (بغداد : ١٨٥٧م)

ـــ البلاذري، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) :

٥- فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات (القاهرة : ١٩٠١م) .

ـــ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) :

٦- البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، ط٥ (القاهرة : ١٩٧٦م) .

ـــ ابن حوقل، محمد بن علي (ت ٣٧٦هـ/ ٩٧٧م) :

٧- صورة الأرض، ط٢، مطبعة فؤاد بيبان وشركاؤه (بيروت : د.ت) .

ـــ الخلال، أبو بكر احمد بن محمد بن هارون (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م) :
٨- الحث على التجارة والصناعة والعمل، نشر مكتبة القدسي والبدين، مطبعة الترقي (دمشق : ١٣٤٨هـ) .
ـــ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) :
٩- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر (بيروت : د.ت).
ـــ ابن سعد، محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/ ٤٤٨م) :
١٠- الطبقات الكبرى، تحقيق احسان عباس، دار صادر (بيروت : ١٩٨٦م) .
ـــ سليمان التاجر (القرن الثالث الهجري) :
١١- سلسلة التواريخ، المطبعة السلطانية (باريس : ١٨١١م) .
ـــ ابن شهريار، برزك (ت في نهاية القرن الرابع الهجري) :
١٢- كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزائره (القاهرة : ١٩٠٨م) .
ـ ابو عبدالله القزويني، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) :
١٣ـ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر(بيروت : د . ت) .
ـــ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) :
١٤- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب (بيروت : ١٩٦٥م) .
ـــ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) :
١٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت : ١٩٨٧م) .
ـــ ابن هشام، محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) :
١٦- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة البابي الحلبي (القاهرة : ١٩٥٥م) .
ـــ ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) :

١٧- معجم البلدان، دار صادر (بيروت : ١٩٧٧م) .

ـــ اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) :

١٨- تاريخ اليعقوبي، منشورات المكتبة المرتضوية، مطبعة الغري (النجف : ١٣٥٨هـ).

ثانياً - المراجع الثانوية :

ـــ ارنولد، توماس :

١٩- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرين، ط٢ (القاهرة : ١٩٥٧) .

ـــ البكري، صلاح الدين :

٢٠- تاريخ حضرموت السياسي (القاهرة : ١٩٣٥م) .

ـــ الحويري، محمود (دكتور) :

٢١- أسوان في العصور الوسطى، ط٢ (مصر : ٢٠٠٢م) .

ـــ السامر، فيصل :

٢٢- الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، دار الطليعة للطباعة والنشر (بغداد : ١٩٧٧م) .

ـــ الشيخلي، صباح إبراهيم والالوسي، عادل محي الدين :

٢٣- تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرقي أسيا (بغداد : ١٩٨٧م) .

ـــ الصلابي، علي محمد :

٢٤- السيرة النبوية، ط٤ دار المعرفة (بيروت : ٢٠٠٦م) .

ـــ غيث، فتحي :

٢٥- الإسلام والحبشة عبر التاريخ (القاهرة : ١٩٦٨م) .

ـــ متز، ادم :

٢٦- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو

ريده، ط٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة : ١٩٥٧م) .

ـــ محمود، شاكر :

٢٧- تركستان الصينية الشرقية (بيروت : ١٩٧٦م) .

ـــ الناطور، شحاذه وآخرون :

٢٨- النظم الإسلامية والتشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية، دار الكندي (عمان : ١٩٨٨م) .

ثالثاً - الأطاريح الجامعية :

ـــ الدجيلي، خولة شاكر :

٢٩- العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الإفريقي الشرقي حتى القرن التاسع الهجري، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد (١٩٧٥م).

رابعاً - المراجع الأجنبية :

- Brady .C .

30- Commerce And Congnest in East Africa . The Essex institute (1950) .